أقدم وأول معهد تجاري فني على مستوى الوطن والجزيرة والخليج.. وَوَضَعَ حجر أساسه الشيخ البيحاني..

المعهد التجاري العدني (المدراسي) منارة علم وإشعاع أمل

تقرير / أحمد حسن العقربي

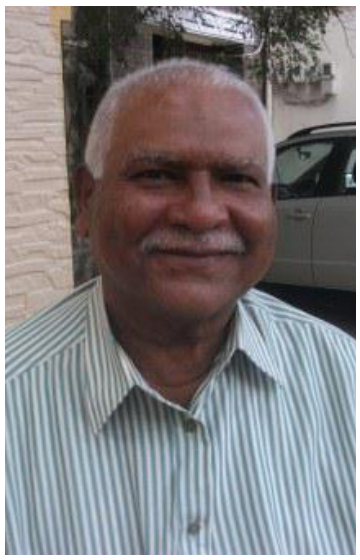

في هذه المرة سنتطرق إلى أهم المعالم العلمية التاريخية في عدن ، والحديث عن المعالم التاريخيـــة لا يقتصر على المواقع الأثرية أو المنشآت الاقتصادية أو الخدمية أو الصروح العلمية والتعليمية فحسب ، فهناك معالم اشتهرت وتميزت بها عـــدن.. معـــالم ذات قيمة علمية وثقافية مثل أقـــدم معلم علمي وهو (المعهد التجاري العدني) وأقدم معهد تأهيلي وتنويري أسس في عام 1927م ، وأسســـه الحاج ياســـين راجامنار الذي وصل إلى عـــدن من جنوب الهند من مدينة مدراس المشـــهورة في عام 1923م ولذلك ســـمي المعهد وكما كان يطلق عليه (المدراسي).

المعهد أكد على مدى السنوات الماضية منذ أواســـط العشرينات مـــن القرن الماضي أنه مؤسسة علمية فريدة ذات خصوصية كونها تـــدرس جميع المواد الدراســـية باللغة الإنجليزية إلى جانب اللغة العربيـــة والتربية الإســـلامية ولعبـــت دوراً مهـــماً في نـــشر العلم والمعرفة واللغة الإنجليزية.

أما فكـــرة إنشـــاء المعهـــد جاءت لاســـتيعاب الطلاب مـــن المحافظات الجنوبية والشـــمالية والفقراء الذين لا تقبلهـــم المـــدارس الحكوميـــة في عهد الاســـتعمار البريطاني كونهم لا يمتلكون المخالق (شـــهادة الميلاد) أو الجنســـية العدنية وهي نزعة غرسها الاستعمار البريطاني لممارسة التجهيل والنزعة العنصرية وبهدف ســـياسي استعماري لتشجيع الهجرات الجنوبية.

عنصرية الاستعمار

لقد أدرك الحاج (ياســـين راجمنار) هذا الظلـــم الاجتماعـــي والعنصري ضد أبناء المحافظـــات المجاورة لعدن وضواحيها الفقراء فبادر بهذه الفكرة مـــن أجل إتاحة الفـــرص لهذه الفئات للتحصل على حقهم في العلم والمعرفة والتأهيل والتدريب ، وهذا العمل الطيب محسوب له إيجابيا ولن تنساه الأجيال القديمة وأجيال اليوم ، خصوصا أهالي عدن القدماء وأجيالهم المتتابعة.

أكفأ الكوادر

منذ أن تأسس هذا المعهد فقد تخرج منه معظـــم كوادر الجنـــوب العربي آنذاك الذين يجيـــدون اللغة الإنجليزية وعلـــوم التجـــارة والإدارة والترجمة والعلـــوم الأخـــرى ، والذين أرســـوا مداميـــك الإدارة العامـــة والاقتصادية والتجارة والاستيراد والتصدير وأعمال البنوك والشركات والهجرة والجوازات والمعامـــلات الجمركيـــة في مختلف منافذ عدن في ذلك في مجالات وكالات الملاحة والشـــحن والتفريـــغ وتقديم الخدمات للسفن والملاحة البحرية إلى جانب القطاع البحري.

تخرج منه كوادر عدن ممن يتبوءون قيادة البنوك ومدراء الشركات التجارية في عدن

مخرجات هذا المعهد التاريخي كان له الفضل في بناء كادر وطني يجيد اللغة الإنجليزيـــة الذي تحمل مهـــام الدولة الوطنية الجديدة بعد الاستقلال في عام 1967م فيما كانت تســـمى بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، إذ اعتمدت الحكومة الجديدة في تعيين الســـفراء والقناصل وإدارة الـــشركات الأجنبية المؤممة على هـــذا الكادر الوطني الذي يجيد اللغة الإنجليزية وكيف يتعامل مع العالم في وقت كانـــت الدولة الوطنية بعد الاســـتقلال بحاجة إلى هذا الكادر المؤهل الـــذي يجيد اللغـــة الإنجليزية ويســـاعدها في ترجمـــة الاتفاقيات الدوليـــة والاتفاقيـــات الاقتصاديـــة والثقافية والعلمية التي تعقدها بلادنا مع المجتمع الدولي والمنظمات الدولية المانحة ، بـــل لعل الأهـــم في الفضل لهذا المعهد أن عدداً كبـــيراً من تداولوا على رئاســـة مجالس الوزراء والوزراء ومجلس الشعب والمناصب المرموقة في البنوك والمؤسسات الاقتصادية وحتى الأمنية هـــم من خريجي هـــذا المعهد التاريخي الذي يعد جزءاً من ذاكرة عدن الثقافية والعلمية.

كان أول معهد تجاري باللغة الإنجليزية و أخرج أول إعلامية إذاعية عدنية فوزية غانم وإنصاف العراسي

أريبيـــان الواقعة أمام منارة عدن وهي أضخم شركة ، وكانت تســـمى أريبيان كمبنى فعـــل فيها كمختـــزل الكتابة وبعدها كسب الخبرة التجارية واحتفظ بأبـــرز العناوين للـــشركات التجارية إلى الخـــارج وبدأ يراســـلها وفتح الله عليه باب التجارة واشـــتغل في الصمغ والسمك الجاف (الوزف) وكسب أموالا كافيـــة ، وعندها لمـــس أن عدن تفتقر إلى كوادر مؤهلة في العلوم التجارية واللغـــة الإنجليزيـــة تحقـــق حلمهم في تأســـيس المعهد التجـــاري العدني فاشـــترى مبنى في الخليـــج الأمامي في حي الرزميت ويســـمى (ويجمنت) بمعنى ثكنات عســـكرية ، وبدأ تدريس عدد قليل أي 6 أشخاص ، وتطور وعين بعض المساعدين لمساعدته في تدريس المواد الأخرى وكان ســـنده اليمين الذي اعتمد عليه لسنين طويلة هو الأستاذ المربي الفاضل / مصطفى عبدالكريم بازرعـــة الذي عاصر المرحوم ياســـين طيلة أربعين عامـــاً إلى جانب عدد من المدرسين اليمنيين الذين اعتمد عليهم كأمثال الأستاذ/ حسين عزيم عبدالله ، وعقيلي ، وعلي محمد جعفر ، ومحمد سالم الرباطي وآخرين .

الحاج (ياسين راجمنار) جاء من جنوب الهند من مدراس ولادة السياسيين والقضاة في الهند

لماذا سمي المعهد بـ (المدراسي)؟!

في رده عـــلى هذا الســـؤال أوضح مصطفى ياســـين محمد راجمنار بأن الوالد الحاج ياســـين بنـــى هذا المعهد التجاري العـــدني في مايو 1927 ، ثم بنى المدرسة الإسلامية للبنات في عام 1952م ثم بنى فـــرع المعهد بالتواهي الواقع أمام مبنى الســـياحة حاليا في عام 1932م إلى جانب مدرسة صغيرة أشـــبه بالمعلامة في الممـــدارة ألحقها بمســـجد أيام عاقل المدارة الذي يدعى (عكبـــور) وكان ذلـــك في عام 1945 وهـــذا التعليم كان مجاناً في الشـــيخ عثمان لوجه الله وكرّس لتدريس القرآن الكريم.

أما كيف التحق الطلاب بالمعهد فإنهم كانـــوا بدون شـــهادات ميلاد في عدن والمـــدارس الحكومية أيام المســـتعمرة البريطانية عدن ، حينها قبل الاستقلال كانت تقيل فقط الذين يحملون شهادة الميلاد من المستعمرة عدن وهم الطلبة الذين يأتون مـــن الأرياف في الجنوب ومن تعز.

مراحل دراسية

ولتعريف القارئ الكريم على القصة الكاملة لأهمية وتاريـــخ وبناء الكادر الوطني في ذلك الوقت التقينا مع تلميذ هذا المعهد وابن صاحب المعهد وشاهد العين على تطور المراحل الدراسية فيه والتحديات والصعوبـــات والنجاحات التي حققها وما تعرض له من أخطاء الاجراءات الماضيـــة في قرارات التأميم بعد عام 1998م، إنه الأستاذ / مصطفى ياسين محمد راجمنار ، من مواليد عدن 18/9/1946م، وهو ابن الحاج ياسين محمد راجمنار مؤسس المعهد التجاري العـــدني أو مـــا كان يطلـــق عليه بـ (المدراسي) ، الذي استقبلنا بحميمية وحضن دافئ والذي قال :" الذي أسس المعهد هو الحاج ياسين محمد راجمنار الذي وصل إلى عـــدن قادما من جنوب الهند مـــن مدينة مدراس المشـــهورة ، وذلك في عام 1923م، باحثا عن أبواب الرزق في عـــدن ، ثـــم التحق بشركة